

الدرس السابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له في كتاب «أصول الإيمان» :

باب الوصية بكتاب الله عز وجل

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط داع يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجوا ، وفوق ذلك داع يدعو كلما همَّ عبدٌ أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تُلجهُ)) ، ثم فسره فأخبر أن الصراط المستقيم هو الإسلام ، وأن الأبواب المفتحة محارم الله ، وأن الستور المرخاة حدود الله ، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن ، وأن الداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن)) رواه رزين ، ورواه أحمد والترمذي عن النواس بن سمعان بنحوه .

هذا الحديث حديث ابن مسعود وأيضاً كما أشار المصنف رحمه الله تعالى رواه الإمام أحمد الترمذي من حديث النواس بن سمعان حديثٌ عظيم ضرب فيه النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل مثلاً عظيماً بين الإسلام ، والأمثال لها شأن عظيم ووقع كبير على القلوب ولها فائدة عظيمة في فهم المعاني وإيصال حقائقها وضبطها ؛ فإن الأمثال من شأنها أنها تجعل الأشياء المعنوية بمثابة الأشياء الملموسة المشاهدة المعاينة .

والقرآن الكريم ضرب الله تبارك وتعالى فيه أمثالا كثيرة تبلغ أربعين مثلاً لبيان التوحيد والإيمان ، وكذلك سنة النبي عليه الصلاة والسلام جاء فيها في أحاديث كثيرة ضرب الأمثال ، فالأمثال لها شأن عظيم ومكانة عالية في بيان الدين ، وينبغي على المسلم أن يرعى هذه الأمثال انتباهه ، والله عز وجل يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ، كان بعض السلف إذا مر على مثل من أمثال القرآن ولم يفهم بكى وقال "لست من العالمين" لأن الله عز وجل يقول ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ . ولهذا ينبغي أن يستفيد المسلم من هذه الأمثال

العظيمة المضروبة في القرآن وفي سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام . وهذا المثل الذي بين يدينا مثل عظيم مبارك ضربه الله تبارك وتعالى لبيان حقيقة الإسلام وتوضيحه وبيانه بياناً وافياً واضحاً بَيِّنًا .

يقول عليه الصلاة والسلام : ((ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً)) هذا هو مثل الإسلام ، الإسلام مثله مثل الصراط المستقيم قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٣] ، وفي دعاء المسلم المتكرر في كل ركعة من كل صلاة في سورة الفاتحة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴿ ، ويقول جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣] فالإسلام صراط مستقيم .

وهنا قوله ((ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً)) يُعْنَى بالصراط المستقيم الإسلام كما سيأتي في الحديث ، فالإسلام صراط مستقيم ، وسمي الإسلام صراطاً مستقيماً: لأن الإسلام وهو وحده الذي يوصل إلى رضا الله تبارك وتعالى وجنات النعيم والنجاة من النار وعذاب الله تبارك وتعالى وعقابه يُيسر وسهولة ، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((إن هذا الدين يسر)) ، ويمتاز هذا الصراط المستقيم بميزات عظيمة أهمها: سعته وسهولته واستقامته ؛ فهذه صفات ثلاث للصراط المستقيم :

١. فهو واسع يستوعب كل داخل وكل راغب في الدخول فيه وسلوكه ، مهما كثر العدد فإنه يسع لذلك ولا يقال يوماً من الأيام امتلأ الصراط لا مجال لأحد أن يدخل أو يسير ، فكل من رغب أن يدخل في هذا الصراط ويسير على صراط الله المستقيم لينال رضاه في أي وقت وفي أي زمان وفي أي بلد الصراط يسعه ، فهو صراط واسع .

٢. والأمر الثاني : هو صراط سهل ليس فيه حزونة وصعوبة وعسر وارتفاع وانخفاض والتواء وانحراف ، بل هو سهل مستقيم وسهل وليس فيه عسر ولا صعوبة ، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)) ، وقال عليه الصلاة والسلام ((يسرّوا ولا تعسروا)) .

٣. والأمر الثالث: الاستقامة ؛ فهو صراط مستقيم ، والصراط المستقيم هو الذي يوصل إلى المقصود بأقرب طريق ، وليس هناك ما يوصل إلى المقصود بأقرب طريق إلا الطريق المستقيم ، أما الطرق الملتوية المعوجة المنحرفة ؛ فهي إما أنها لا توصل إلى المقصود ، أو توصل إليه بانحرافٍ وبُعدٍ والتواء ، أما الطريق المستقيم فهو الذي يوصل إلى المقصود بأقرب وأيسر طريق .

والإسلام صراطٌ مستقيم يمشي عليه المسلم في هذه الحياة ويمضي ثابتاً عليه بتثبيت الله تبارك وتعالى ، ولهذا كانت حكمة الله عز وجل أن ينصب يوم القيامة صراطاً مستقيماً على متن جهنم ثم يُطلب من الخلائق يوم القيامة أن يعبروا من فوق الصراط المنصوب على متن جهنم ، ويكون مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم بحسب حظهم من السير على الصراط المستقيم في الحياة الدنيا ، كلما كان الإنسان أشد محافظة وثباتاً على صراط الله المستقيم في هذه الحياة الدنيا كان ذلك أنفع له في المرور على الصراط المستقيم المنصوب على متن جهنم، وهذا هو معنى قول الله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢] فسّر النبي صلى الله عليه وسلم الورد بالعبور على الصراط المنصوب على متن جهنم .

ولك أن تتنبه لهذا الأمر وهو أمرٌ سنمر عليه جميعاً ؛ نار جهنم من تحت الإنسان ويمشي على هذه النار من فوق صراط جاء وصفه في بعض الروايات بأنه أحدٌ من السيف وأدق من الشعر ، ولا يستطيع أن يمر عليه إلا من يسّر الله تبارك وتعالى له المرور وكتب له ذلك ، ولهذا قال : ﴿ثُمَّ نُنْجِي﴾ أي الله سبحانه وتعالى ﴿ثُمَّ نُنْجِي﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ؛ فكلما كان حظ الإنسان ونصيبه من الصراط المستقيم في هذه الحياة الدنيا عظيماً كان مروره على الصراط أيضاً مروراً سريعاً ، ولهذا ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أن الناس يتفاوتون في المرور على الصراط ؛ منهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل وكركاب الإبل ، ومنهم من يمر جرياً ، ومنهم من يمر مشياً ، ومنهم من يمر زحفاً ، يزحف زحفاً حتى يعبر ، ومنهم من والعياذ بالله من يكرّس في نار جهنم . وعلى جنبتي الصراط كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ، ليس فقط صراط يمر عليه بل هناك كلاليب أيضاً تخطف الناس بأعمالهم كما جاء الحديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا من الخير للإنسان ما دام على قيد الحياة وفي ميدان العمل أن ينتبه لنفسه وأن يجاهدها على المحافظة على هذا الصراط المستقيم والثبات عليه والاستقامة عليه إلى أن يتوفاه الله تبارك وتعالى وهو عنه راضٍ .

قال : ((ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة)) ؛ الصراط المستقيم عرفنا معناه وهو الطريق القويم الذي ليس فيه انحراف ولا اعوجاج ولا التواء ولا انخفاض ولا ارتفاع وإنما طريقٌ مستقيم ، فهذا مثل الإسلام . قال ((وعلى جنبتي الصراط سوران)) جداران بحيث إذا دخل الإنسان في هذا الصراط يجد على يمينه جدار وعلى يساره جدار ، طريق مستقيم وعلى يمينك جدار وعلى يسارك جدار وتمشي في الطريق المستقيم بين الجدارين ، ((وفي السورين)) أي في هذين الجدارين ((أبواب مفتحة)) بحيث أنت تمشي على الصراط المستقيم يمر عليك على يدك اليمين وعلى يدك الشمال أبواب كثيرة مفتحة ، ((وعلى الأبواب المفتحة ستور)) يعني ستائر مرخاة على الأبواب ، قطع من القماش مرخاة على

الأبواب، فالأبواب ليست مغلقة وليس لها مفاتيح بحيث يحتاج الإنسان إذا أراد أن يدخل معها أن يبحث عن المفتاح أو يقف يفتح أو يعالج الباب حتى يفتح ، ليس هناك أبواب وإنما ستور مرخاة ، والداخل لا يكلفه الدخول جهداً ولا وقتاً ، رأيتم الباب الذي ليس عليه إلا ستارة هل يحتاج منك جهداً للدخول مثل الباب الذي تُخرج المفتاح وتفتح الباب وتحرك اليد وتدفع الباب ثم تدخل؟ الباب الذي ليس عليه إلا ستارة إذا أراد الإنسان أن يدخل يدخل كما هو؛ يدفع الستارة بكتفه ويدخل كما هو بدون أي مجاهدة أو عناء أو مشقة .

فإذاً الصراط المستقيم على جنبتيه سوران ، وفي السورين أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب المفتحة ستور مرخاة ؛ هذا مثل عندما تنتبه له يوضح لك الإسلام وأن الإسلام هذا مثله ؛ مثل الإسلام مثل الصراط المستقيم ، فإذا أراد الإنسان لنفسه أن يكون من أهل هذا الصراط لا يقف ، يمشي على الصراط .

والسوران أو الجداران هما حدود الله كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في الحديث ((السوران حدود الله)) ، وهذا معناه أنك إذا مشيت على الصراط الذي هو الإسلام فعليك ألا تتعدى حدود الله ، كما قال الله في القرآن الكريم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] أي لا تتجاوز حدود الله بحيث تمشي على الصراط أي على الإسلام نفسه ، لا تمارس أموراً ليست من الإسلام وتظن أنك بها ماضياً على الصراط ، مثل من يمارس البدع والأهواء والضلالات ويريد أن يتقرب بها إلى الله عز وجل هذا خروج عن حدود الإسلام عن حد الشريعة عن ضابط الشريعة ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ فالسوران حدود الله ؛ فهذا يعني أن المسلم يجب عليه أن يعمل بالإسلام الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ودعا إليه ، لا أن يخترع أموراً أو تُخترع له أمور بل يمضي على الإسلام نفسه ولا يتعدى حدود الله تبارك وتعالى .

والأبواب المفتحة التي عليها ستور مرخاة فسرها النبي عليه الصلاة والسلام بأنها محارم الله ؛ أي الأمور التي حرمها الله سبحانه وتعالى؛ وهي الحدود المحرمة ، حدود الله التي حرم على الناس أن يلجوها أو يدخلوها كما جاء في آية أخرى قال تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] ، لأن «الحدود» هذه الكلمة تطلق في القرآن ويراد بها الإسلام؛ الأمر الذي شرعه الله عز وجل ، وهذا يقال حدٌ أمر الله عز وجل أو نهى عز وجل أن نعديه أو نتجاوزه ، وتطلق الحدود ويراد بها الحدود التي حرم الله المحرمات ، وهذه حدودٌ تُهيننا أن نقرّبها ، لهذا في آية قال ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ وفي آية أخرى قال ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ ، والحدود هنا ليست الحدود التي هناك ، قال: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ ، وهنا قال: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ ؛ الذي قال الله فيها ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أي المحرمات وما نهى الله سبحانه وتعالى عنه .

قال: ((وعلى الأبواب ستور مرخاة)) أي على الأبواب التي تدخل الإنسان على الحرام ستائر مرخاة بحيث أن الداخل مع هذه الأبواب لا يحتاج إلى وقت ، ولهذا ترى الإنسان خرج من بيته إلى المسجد أو إلى طاعة أو إلى بر أو إلى إحسان أو نحو ذلك ثم تعرض له هذه الأبواب في طريقه وتدعوه نفسه إلى الدخول من أحدها ، وربما دخل ويكون دخوله هذا وقوعاً في الحرام ووقوع فيما نهى الله عنه ، وهذه الأبواب المفتحة التي عليها ستائر دل حديث ابن مسعود القادم الآتي عند المصنف الذي قال فيه: ((إن النبي صلى الله عليه وسلم خط خطاً مستقيماً وجعل على جنبتيه خطوط وقال هذا صراط الله ، وهذه سبل ، وعلى كل سبيل منها شيطان)) هذه الرواية تدل على أن هذه الأبواب إضافةً إلى كونها مفتحة هناك على كل باب شيطان يدعو ، ولهذا جاء عن ابن مسعود صح عنه رضي الله عنه أنه قال : «إن هذا الصراط محتضر» أي تحضره الشياطين وينادون هكذا يقول ابن مسعود «وينادون يقولون: يا عبد الله هلم إلى الصراط، هنا الصراط» هذا لفظه رضي الله عنه «ينادون : هلم إلى الصراط، هنا الصراط»، الشيطان لما يدعو الإنسان إلى الدخول مع هذه الأبواب يناديه للدخول معها مشعراً له أن دخوله مع هذه الأبواب ليس خروجاً عن الصراط ، لا يقول له ادخل من هنا هذا طريق النار نار جهنم هذا طريق سخط الله، يدخله فيها ويُشعره أنه لا زال على الصراط وأنه لم يخرج عن الصراط ، يقول له "يا عبد الله هذا الصراط هلم إلى الصراط" يناديه بمثل هذا النداء .

وليست الأبواب المفتحة باباً واحداً أو اثنين أو ثلاثة ، بل هي أبواب كثيرة بمعنى أن الإنسان على طول سيره على الصراط لا تزال تعرض له هذه الأبواب عن يمينه وشماله ؛ وهذا فيه تنبيه على أن الإنسان ينبغي أن يكون على حذر من هذه الأبواب إلى أن يتوفاه الله ، وهو في مجاهدة لنفسه أن لا يدخل مع شيء من هذه الأبواب التي تفضي به إلى الحرام وتجعله يقتحم الباطل ، بل يتقي الله سبحانه وتعالى ويحذر من هذه الأبواب . والنفس فيها فضول وفيها رغبة في التطلع والنظر إلى ما مُنعت منه وحرّم عليها ، فالنفس فيها فضول ؛ باب وفيه ستارة تقول له النفس : "افتح الستارة قليلاً ، لا تدخل افتح الستارة قليلاً انظر ماذا في الداخل" ، وإذا طأوع نفسه فتح الستارة قليلاً قالت له نفسه : "النظر هذا من الباب لا يكفي! ادخل خطوة واحدة أو خطوتين حتى تنظر الأمر" ، وهكذا الشيطان من جهة والنفس الأمارة بالسوء من جهة أخرى ، ثم يقع من يقع في الدخول فيما حرم الله سبحانه وتعالى . وكما قلت النفس فيها فضول وميل لما مُنعت منه ، حتى قيل لو أن الناس قيل لهم لا تفتؤا البعر ، البعر تعرفونه الذي يخرج من بهيمة الأنعام ، لو قيل لهم لا تفتؤا البعر ممنوع فت البعر ؛ لقال الناس في داخله دُر ، لم تُمنع من فتّه إلا بداخله در !! ثم يذهبون ويفتؤون البعر . فالنفس فيها شيء من الميل والتطلع لما تُمنع منه، مثل هذه الأبواب في النفس دواعي لا تزال تتكرر على الإنسان ، وكلما قويت الفتنة وداعي الفتنة كان هذا أشد على الإنسان في الابتلاء في هذه الأبواب التي على يمينه وعلى يساره .

وهذا يؤكد أن العبد ينبغي عليه أن يجاهد نفسه على الثبات على هذا الصراط ، وأن يكون نظره نظرة بعيدة وعميقة ، ينظر نهاية الصراط ولا ينظر للفتن التي تعصف حوله ، بل تتعلق همته ونظره بنهاية الصراط ، سئل ابن مسعود رضي الله عنه الصراط ما هو؟ قال: «هو طريق تركنا النبي صلى الله عليه وسلم في أوله ونهايته في الجنة» هذا هو الصراط ؛ طريق تركنا النبي عليه الصلاة والسلام في أدناه ونهايته في الجنة .

قال: ((وعلى جنبتي الصراط جواد)) أي طرق تخرج الإنسان من هذا الصراط ، فالإنسان يكون نظره نظر بعيد عميق ؛ الجنة ، رضا الله ، النجاة من النار ، كلما دعاه داع للدخول مع هذه الأبواب ذكّر نفسه بالجنة والحرمات منها ، والنار والخوف من دخولها ، وسخط الله عليه وغضبه منه ، فتمنعه مثل هذه النظرة والتطلع الرفيع العالي من الدخول من هذه الأبواب الملوثة الأبواب المضرة الأبواب السيئة التي يُحرم الإنسان بدخولها سعادة الدنيا والآخرة ولذة الدنيا والآخرة .

قال : ((وعند رأس الصراط داع يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجوا)) فسر النبي عليه الصلاة والسلام هذا الداعي بأنه القرآن ؛ وهذا هو الشاهد لسوق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث في هذه الترجمة ، لأن فيه وصية بالقرآن ووصايا القرآن العناية بها والاهتمام والاستجابة لداعي القرآن ، وأنت كلما أعطيت نفسك عناية واهتمامًا بكتاب الله عز وجل كان ذلك من أعظم الأمور المعينة لك على الثبات على صراط الله المستقيم ، ولا يتحقق للإنسان ثباتٌ على صراط الله المستقيم إلا بالعناية بالقرآن الكريم ، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فمن اعتصم بحبل الله بكتاب الله تمسك به وعمل به هدي إلى صراط مستقيم. ثم ذكر عليه الصلاة والسلام قال: ((وفوق ذلك داع يدعو)) أي فوق الصراط في بعض الروايات ((من جوف الصراط)).

((داع يدعو كلما همَّ عبدٌ أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب)) أي الأبواب التي على جنبتي الصراط ((قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجّه)) ؛ ذكر عليه الصلاة والسلام داع يدعو من فوق الصراط أو من جوف الصراط كلما همَّ العبد أن يفتح شيئاً من هذه الأبواب ليدخل قال له هذا الداعي: يا عبد الله لا تفتح الباب فإنك إن تفتحه تلجّه ، إذا فتحت الباب تدخل ؛ وهذا فيه تنبيه أشرت إليه قريبا وهو: أن الإنسان عندما يمر بهذه الأبواب يحتاج إلى مجاهدة لنفسه ، لأن نفسه تأخذه في الدخول إلى هذه السبل للدخول مع هذه الأبواب تأخذه أخذاً تدريجياً ، تقول له نفسه ويقول له الشيطان "افتح الباب فقط نظرة سريعة وأنت ماشي لا تقف ، انظر نظرة سريعة وامضي" ، إذا فتح الستارة ونظر دخل ((لا تفتح الباب فإنك إن تفتحه تلجّه)) لأنه إذا فتح الباب ونظر إلى الحرام ودخل إلى قلبه من خلال النظر أو من خلال السماع أمور الحرام أصيب بمرض القلب؛ إما

مرض الشبهة أو مرض الشهوة ، والشبهة والشهوة منافذها على الإنسان السمع والبصر ، ولهذا قال ((لا تفتح الباب)) امض على سيرك على صراط الله المستقيم .

ما هو هذا الداعي الذي من فوق الصراط أو من جوف الصراط؟ الذي ينادي في كل مرة يفكر فيها الإنسان أن يفتح الباب يناديه ويقول ((لا تفتح الباب فإنك إن تفتحه تلجه)) ؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام : ((ذلك واعظ الله في قلب كل مسلم)) وهذه نعمة من الله سبحانه وتعالى جعلها في قلوب أهل الإيمان ، جعل في قلبه واعظا ، جعل في قلبه زاجراً ناهياً ، كلما أراد أن يفتح شيئاً من هذه الأبواب وعظه ، وهذه الموعظة يحس بها المسلم المستقيم على صراط الله المستقيم المحافظ على طاعة الله وعلى الصلاة وعلى عبادة الله ؛ إذا دعت نفسه للدخول مع شيء من هذه الأبواب أو دخل فيها دخل في أولها أنكر قلب نفسه ، وأحس في قلبه نفرة من هذا وكراهية ، وربما شعر في قلبه ألماً واضطراباً وعدم ارتياح ، وأحس بوخز في قلبه وأحس بضيق ؛ هذا واعظ له ، الطريق الذي دخلت معه ليس طريقك . والقلب حُلُق لعبادة الله سبحانه وتعالى والذل له ، فإذا أُدخل في الأهواء اضطرب وتشوش ، فإذا دخل جاءه هذا الواعظ في قلبه ((واعظ الله في قلب كل مسلم)) ولكن كما يقال " كثرة الإمساس تقلل الإحساس " ، فإذا دخل الإنسان وجاءه هذا الواعظ ومضى لم يبال؛ تعمق وبدأ الواعظ يخف وتعمق تبدل وأصبح يتوغل في الحرام ولا يشعر . وهذه خطورة الدخول في المحرمات والتوغل فيها والمضي فيها خطورة شديدة على الإنسان ، ومثل هذا الإحساس المبارك الشعور الطيب الذي جعله الله في قلب المسلم يتبدل شيئاً فشيئاً حتى ربما ذهب عن الإنسان ولم يبق له أي أثر أو وجود وهذا هو معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] أي غطى عليها ، وفسر الران بأنه: إذا أذنب الذنب نُكت في قلبه نكتة سوداء ، وإذا أذنب الذنب الآخر نكت في قلبه نكتة سوداء حتى يغطي القلب فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ويتبدل تماماً ، نسأل الله عز وجل لنا جميعا العافية والسلامة .

لما ذكر عليه الصلاة والسلام المثل فسره ولهذا قال: ((ثُمَّ فَسَّرَهُ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ الْإِسْلَامُ ، وَأَنَّ الْأَبْوَابَ الْمَفْتُوحَةَ مُحَارِمُ اللَّهِ)) أي الأمور التي حرمها الله سبحانه وتعالى على عباده . هذا المثل يعينك في هذا الباب على ضبط نفسك ؛ إذا مضيت في طريق الاستقامة وطريق الثبات على الحق ثم دعتك يوماً نفسك لفعل أمر محرم تذكر الصراط ، قل الآن إذا دخلت في هذا المحرم معناه أنني فتحت الستارة ودخلت فيما حرم الله عز وجل ، أبقى على صراط الله المستقيم خيراً لي ، لأفوز برضا الله لأفوز بثوابه سبحانه وتعالى ؛ ولهذا الشهوات تحف الإنسان من جوانبه ، ((حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ)) ، فهذه شهوات تأتي على يمين الإنسان وعن يساره إذا دخل فيها أدخلته النار ، لأن النار محفوفة بالشهوات ؛ فيتقي الإنسان ربه عز وجل ويجاهد نفسه .

قال: ((ثُمَّ فَسَّرَهُ فَأَخْبَرَ أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ الْإِسْلَامُ ، وَأَنَّ الْأَبْوَابَ الْمَفْتُوحَةَ مُحَارِمُ اللَّهِ ، وَأَنَّ السُّتُورَ الْمُرَخَّاةَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَأَنَّ الدَّاعِيَ عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ هُوَ الْقُرْآنُ ، وَأَنَّ الدَّاعِيَ مِنْ فَوْقِهِ هُوَ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ)) ؛ فهذا مثل عظيم مبارك نسأل الله العظيم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفعنا به . ولهذا الحديث شرحٌ من أجمل وأبدع ما يكون للحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى سماه «شرح حديث مثل الإسلام» ، وهو مطبوع في حجم هذا الكتاب الذي معكم يُقرأ في جلسة لكنه غزير الفائدة كبير النفع في شرح هذا الحديث وهذا المثل العظيم المبارك .

وأورد رحمه الله -أعني ابن رجب- فيما أورد في شرحه لهذا الحديث قصة أحد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام والحديث في صحيح مسلم وهو عبد الله بن سلام أنه رأى في المنام رؤية عجيبة وعرضها على النبي عليه الصلاة والسلام وفسرها له ، يقول : «بينما أنا نائم إذ أتاني آت وأخذ بيدي فانطلق بي ، فمررنا على جواد على شمالنا فأردت أن آخذ فيها -أي أسير في تلك الجواد- فقال لي: لا تذهب من هنا هذه طريق أهل الشمال ، وأخذ بي وإذا بطريق منهجة على يميننا ودخل بي معها ، يقول دخلنا مع هذه الطريق -هذا في المنام يراه- دخلنا مع هذه الطريق وإذا بجبل فأردت أن أرقى هذا الجبل ، فكلما صعدت شيئاً من هذا الجبل سقطت على أستي -على قفائي- وكلما صعدت سقطت ما استطعت أن أصعد ، يقول فأخذ بيدي وإذا بعمود ممتد طرفه في السماء وأسفله في الأرض ، وعند أعلاه عروة -العروة هي ما يتمسك به- فقال لي اصعد ، قلت كيف اصعد يعني هذا عالي ما أستطيع ! قال فأخذ بيدي وصعد بي حتى وصلنا إلى أعلى العمود وتمسكت بالعروة التي في أعلى في السماء يقول فتمسكت بالعروة ، فضرب هذا الذي معه بالعمود فسقط العمود وبقي متمسك بالعروة ، يقول واستيقظت من النوم فذهبت إلى النبي عليه الصلاة والسلام فذكرت له الرؤيا» ، قال: ((الطرق التي رأيتها على شمالك هذه طرق أهل الشمال ، والطريق التي سرت عليها على يمينك هذه طريق أهل الإيمان ، والجبل الذي كنت تصعد وكلما صعدت لم تتمكن هذه منازل الشهداء ولن تنالها ، والعمود الذي رأيت عمود الإسلام ، والعروة التي رأيتها العروة الوثقى ، وتمسكك بهذه العروة ثباتٌ لك على هذا الدين إلى أن يتوفاك الله)) ؛ وهذا في معنى المثل أو في جوانب منه في معنى المثل ، وأن الصراط المستقيم يحتاج الإنسان أن يمضي عليه ثابتاً ناظراً إلى أعلى ويجاهد نفسه على التمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بجبل الله تبارك وتعالى المتين ، وأن يجاهد نفسه ألا ينحرف لا ذات اليمين ولا ذات الشمال ؛ ولأجل هذا شرع لنا أن نلجأ إلى الله عز وجل لجوءاً فُرض علينا سبع عشرة مرة في اليوم أن يهدينا الصراط المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿الفاتحة: ٦-٧﴾ ، وأهل الصراط المستقيم: هم الذين عرفوا الحق وعملوا به ، أما من عرف الحق ولم يعمل به

فهو مغضوب عليه ، ومن عمل بغير معرفةٍ بالحق فهو ضال ؛ فلا يكون من أهل الصراط المستقيم إلا بمعرفة الحق والعمل به ، إذا كان الإنسان على هذا النهج وعلى هذا المسلك كان من أهل صراط الله المستقيم .
والله تعالى أعلمِ وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .